ب. نظر الجوامع والخانقاهات والمدارس والبيمارستانات

على الرغم من ان مصادر نظم العهد المملوكي أغفلت إلى حد ما للنظر في هذه الوظائف كتابة وتوضيحاً ولكن يفهم منها أن الناظر كان يشرف على الأوقاف وينظر في صيانة البناء ويكون مسؤولاً عن تصرفاته أمام السلطان[1]،فناظر المدرسة والأوقاف المخصصة لها كان ينظر في أمورها العامة ويكون بمنزله مدير للمدرسة، فهو الذي يباشر شؤونها ويؤجر عقاراتها ويشتري لوازمها ويعمر ويرمم ويصرف للموظفين رواتبهم[2].

كان الشيخ صلاح الدين محمد بن القاضي شمس الدين الشهرزوري أحد أعلام الكرد، نبغ في بلاد الشام، وتولى نظر المدرسة القيمرية وعده المؤرخون ناظرها الشرعي، ووصف بأنه كان شاباً حسناً كريم الأخلاق، لين الكلمة، حسن العشرة متوداً، توفي سنة ٦٨١هـ /١٢٨٢م، ولم يبلغ من العمر أربعين سنة[3].

ومن علماء آل السنجاري القاضي برهان الدين السنجاري الذي تولى النظر بمدرسة الإمام الشافعي سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م بالقرافة الصغرى[4]، التي كانت وقف السلطان صلاح الدين الأيوبي، وخصص له على النظر راتباً شهرياً قدره عشرة دنانير[5]. ويجب أن ننوه بأن

القاضي برهان الدين تولى النظر بالمدرسة المذكورة بعد أن عزل عن الوزارة سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، بمعنى ان السلطات المملوكية حاولت توظيفه في الشؤون العلمية اعتباراً لمكانته المرموقة وسابقته.

---

(١) نقولا زيادة، دمشق في عصر المماليك، ص ص١٦٠-١٦٢.

(٢) حياة ناصر الحجي، من مظاهر نظام التعليم في مصر في زمن المماليك، (القسم الأول)، بحث منشور في مجلة آداب المستنصرية، ١٩٨٩، العدد السابع عشر، ص ٤١٢.

(٣) اليونيني، مصدر سابق، ج٤، ص١٧٥ " الكتبي، عيون التواريخ، ج٢١، ص٣١٤.

(٤) القرافة الصغرى : القرافة بلدة كبيرة مستقلة بأسواقها ومساجدها وهي ما بين مصر والقاهرة " البلوي، رحلة البلوي، تحقيق : الحسني السائح (المغرب : د.ت)، ج١، ص٢٢٣.

(٥) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص١٨٠.

وكان القاضي برهان الدين متولياً نظر المدرسة البدرية والمدرسة المعزية[1] بمصر بعد بعد أن توفي سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م حل القاضي أبن بنت الأعز محله في جميع وظائفه سوى نظر مدرستي المعزية والبدرية فإنه بقى بيد ورثته[2]. وتولى شمس الدين بن القاضي برهان الدين السنجاري نظر خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة لمدة قبل أن يتفرغ للتدريس بالمدرسة الصلاحية، حيث توفي سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م [3]. وهذا يدل على المكانة العلمية والاجتماعية لأسرة السنجاري التي ما برحت أفرادها تتدرج فى مختلف المناصب إبان العصر المملوكي.

وكان بدر الدين الآمدي من العلماء الذين تقلدوا مختلف الوظائف الدينية والديوانية في بلاد الشام، ففي حدود سنة ٧١٥هـ /١٣١٥م، تولى نظر البيمارستان النورى[4] ثم نظر الجامع الأموي وهو يعدّ من أكابر فقهاء الحنابلة توفي سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م[5].

وقام عدد من أمراء البيت الأيوبي بدور مشهود في إدارة بعض الوظائف ومنها نظر المارستان منهم الأمير فخر الدين بن الملك المغيث الأيوبي الذي اشتغل بعلم الحديث وجمع مجاميع بخطه الحسن وكان ناظر البيمارستان القديم بالقاهرة (الذي أنشأه صلاح الدين)، توفي

سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م [6]. كما ويعدّ الأمير علاء الدين بن شيركوه الأيوبي أحد أمراء الطبلخانات بدمشق، وكان بيده نظر كثير من أوقاف البيت الأيوبي وكان متولي نظر المدرسة التقوية التي بناها الملك المظفر تقي الدين الأيوبي ت ٥٨٧هـ/١٢٠١م[7] بدمشق ذلك نيابة عن زوجته التي انتقل إليها النظر بشرط الواقف، توفي الأمير علاء الدين سنة

---

[1] المدرسة المعزية : عمرّها السلطان الملك المعز أيبك في مصر، وكان متولي عمارتها هو الصاحب شرف الدين الفائزي، وذلك في سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م " أبن دقماق، الانتصار، ق١، ص ص ٩٢-٩٣.

[2] اليونيني، مصدر سابق، ج٤، ص ص٣٢٠-٣٢١.

[3] م. ن، ج٤، ص ص١٩٤-١٩٥ " المقريزي، السلوك، ج٢، ص١٨١.

[4] البيمارستان النوري : البيمارستان الذي أنشأه السلطان نورالدين زنكي (ت:٥٦٩هـ/ ١١٧٣ م).

[5] الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص١٧٣١ " ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٥ " ابن حجر، الدرر الكامنة. ج٤، ص١٦٤ " ابن مفلح، المقصد الأرشد، ج٢، ص ص٤٦٥-٤٦٦.

[6] الصفدي، م.ن، ج٤، ص١٠٧٦ " ابن حجر، ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص٦١.

[7] ينظر، النعيمي، الدارس، ج١، ص ص١٦٢-١٦٩.

٧٥٧هـ/١٣٥٦م[١]، يستدل من ذلك على أن زوج الأمير علاء الدين كانت من بنات بيت التقوى الأيوبي، وذلك لأن نظر المدرسة التقوية كان لها بحسب شرط الواقف الملك المظفر الذي انتقل بين أبنائه وأحفاده.

وبيّن المقريزي أنه خلع في سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م على برهان الدين الاخنائي المحتسب بقضاء القضاة المالكية عوضاً عن أخيه تاج الدين وتولى تاج الدين الجمالي نظر المارستان المنصوري[٢] عوضاً عن البرهان الاخنائي[٣].

على الرغم من أننا لا نستطيع الجزم بتحديد مدة نظر القاضي برهان الدين ولكنها لم تكن طويلة نظراً لتنقله في المناصب ولكن الذي يتجلى للبحث انه جمع بين وظيفتي الحسبة ونظر المارستان في آن واحد بدليل أنه بعد توليه وظيفة قضاء القضاة المالكية عين مكانه شخصان أحدهما في الحسبة والآخر في نظر المارستان.

---

[١] الصفدي، أعيان العصر، ج٣، ص١٢٢٤.

[٢] يذكر القلقشندي بأن البيمارستان المنصوري بين القصرين يعد من أجل الأنظار يتولاه أرباب الأقلام من ذوي المناصب الرفيعة كالوزير وكاتب السر ومن في معناهم، صبح الاعشى، ج١١، ص٢٥٥.

[٣] السلوك، ج٤، ص٢٦١.

سادساً: الخطابة

وهي من الوظائف الدينية بين العامة من الناس وتعدّ من أجل الوظائف رتبةً[١] يتولاها أشخاص يتمتعون بالمهارة واللباقة في الكلام. ومهمتهم الخطبة في الجوامع والمساجد ويكون الخطيب ذا كفاءة علمية وثقافة عالية، وذلك لتكون خطبة ذات صيغ مركبة مقبولة ليتمكن من إيصالها إلى السامعين وإقناعهم بسهولة ويسر[٢] لغرض إفهامهم الأمور الدينية المتعلقة بالعقيدة والعمل، وإبلاغهم إياها وبجلاء.

اشتهر في مصر وبلاد الشام بعض خطباء الكرد ممن ذاع صيتهم ونالوا الحظوة والمكانة بين خطباء عصرهم وترك طائفة منهم لنا كتباً متخصصة بالخطابة مما يدل على مهارتهم وتعمقهم في هذا الفن منهم الخطيب أصيل الدين الأسعردي الذي ولى الخطابة بجامع دمشق أواخر العهد الأيوبي، وبعد أن عزل توجه إلى الديار المصرية وتولى خطابة جامع الصالح[٣].

وبقي فيه مستمراً على الخطابة [٤]، ويذكر في سنة بضع وخمسين وستمائة في أيام الملك المعز أقيمت الجمعة في جامع الصالح وذلك بحضور رسول بغداد الشيخ نجم الدين البادرائي (المتوفى سنة ٦٥٥هـ/١٢٥١م) وخطب به أصيل الدين أبو بكر الاسعردي[٥]. وإذا سلمنا بأن الشيخ نجم الدين البادرائي ورد إلى مصر سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م[٦]، نستطيع أن نقطع بأن الخطيب أصيل الدين تولى الخطابة فيها في نفسها.

وفي سنة ٦٥٨هـ عيّن الاسعردي الذي ذكر المؤرخ الذهبي بأنه كان إمام السلطان قطز في خطابة دمشق وقرأ تقليده ثم عزل بعد شهر من مباشرته[٧]، والذي يبدو أنه انتقل بعد ذلك مرة أخرى إلى مصر وباشر الخطابة فيها إلى حين وفاته سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م

---

[١] القلقشندي، مصدر سابق، ج٤، ص٤٠.

[٢] ينظر : الجرجاني، التعريفات (بيروت : ١٩٦٩)، ص١٠٤ " احمد الإسكندراني ومصطفى عناني، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه (مصر : د.ت)، ص٢٩٢.

[٣] جامع الصالح طلائع بن رزيك يقع خارج باب زويلة بالقاهرة أقيمت أول خطبة جمعة فيه في عهد الملك المعز " المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٩٣.

[٤] الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٠، ص٣٩٥.

[٥] المقريزي، مصدر سابق، ص٢٩٣.

[٦] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٣٩، ينظر في ترجمة الشيخ البادرائي : البداية والنهاية، ج١٣، ص ١٤٨.

[٧] تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (٦٥١-٦٦٠هـ)، ص٦٣.

واشتهر بكونه ديناً صالحاً وكان له كتاب (ديوان خطب)[1] وصفه المؤرخ أبن كثير بأنه ((كان صيناً قارئاً مجيداً))[2].

يفهم مما سبق أن الخطيب أصيل الدين الاسعردي باشر وظيفة الخطابة في مصر إبان العهد المملوكي منذ سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م لمدة سبع عشرة سنة إلى أن وافته المنية، وإنه كان من مشاهير الخطباء وعلى علاقة جيدة مع سلاطين المماليك وعلى وجه الخصوص السلطان قطز.

وممن ولوا الخطابة بمصر القاضي محمد بن علي أبو الفضل الخلاطي، الذي خطب في جامع القاسم بظاهر القاهرة مدة وتوفي فيها سنة ٦٧٥ هـ/١٢٧٦ م[3].

وباشر الخطيب أبو المعالي موفق الدين محمد بن محمد بن المهراني الحموي وظيفة الخطابة في حماه قبل سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م لمدة لم تحددها المصادر، لكنه نقل في السنة المذكورة إلى خطابة الجامع الأموي بدمشق واستمر في وظيفته إلى سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م، حيث دعي إلى حماة[4] ومن المرجح أنه أعيد إليه وظيفة الخطابة بحماه بعد انقطاع دام اكثر من سنتين.

وكان الشيخ زين الدين الفارقي قد تولى في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م خطابة الجامع الأموي بدمشق[5] ويذكر أنه كان فصيحاً متحدياً وقيل أنه لم يكن ماهراً بالخطابة لأنه تولاها وهو شيخ مسن، وكان الصدر أبن الوكيل[6] يسعى ليحل محله في الخطابة وتم له ذلك فأشار المؤرخ الصفدي إلى أنه ((شق على الناس خروج الشيخ زين الدين من الخطابة بعد مباشرته وكماله وصلاحه وجودة قراءته وحسنِ آدابه))[7]، وفي اثر ذلك ثار الناس

---

[1] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٣٦٣ " الكتبي، مصدر سابق، ج٢٠، ص٣٩٥.

[2] البداية والنهاية، ج١٣، ص١٦٧.

[3] ابن رافع السلامي، منتخب المختار، صححه وعلق على حواشيه عباس العزاوي (بيروت: ٢٠٠٠)، ص ١٥٥" ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٧.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ص٢٥١، ٢٥٥.

[5] الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص٩٣٤ " ابن كثير، م. ن، ج١٤، ص١٩ " العيني، عقد الجمان، الجمان، ج٤، ص٢٦٠ " الحصيني، منتخبات التواريخ لدمشق، ج٢، ص٥٢٣.

[6] ابن الوكيل، ويكنى ايضاً بابن المرهل من مشاهير العلماء في الفقه والتدريس تولى مشيخة دار الحديث الأشرفية بعد وفاة زين الدين الفارقي، توفي سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م " ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٤١.

[7] أعيان العصر، ج٤، ص ص١٨٠٧ –١٨٠٨.

وكرهوا إمامة ابن الوكيل واتصلوا بالأفرم[1]، وكان بعض مشاهير العلماء عملوا جاهداً لإعادة الفارقي إلى الخطابة منهم أبن صصرى وابن تيميه[2]، فضلاً عن شيوخ الصوفية حتى أعيد الفارقي وذكر

المؤرخ ابن حجر ((أنه حضر دار العدل (بدمشق) فرأى على الافرم قباء حرير وخاتم فضة ودواة مذهبة، فقال : إذا سألني الله عن هذا ما حجتي إذ قال لي لمَ لمْ تقل له أن هذا حرام بالإجماع، وبكى فأبكى الحاضرين والأفرم، وبادر إلى نزع القباء والخاتم

---

[1] الأفرم : هو جمال الدين أقوش، كان أميراً مملوكياً جليلاً شجاعاً كانت ولايته على دمشق إحدى عشرة سنة متوالية توفي سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م" ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ص٢٣٦-٢٣٧.

[2] ابن تيميه : شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين من أشهر علماء الإسلام في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، ولد بحران سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م وكان صغير السن عندما قدم مع والده وأهله إلى دمشق تفقه وبرّع في العلوم ودعا إلى الإصلاح الفكري في الإسلام واشتهر بغزارة مصنفاته في مجالات : الأصول والفروع والنحو واللغة، توفي سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م، ينظر ترجمته : الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص ص١٣٦-١٤٧ " ابن كثير، مصدر سابق، ج١٤، ص ص١٠٠-١٠٣، ويجب التنويه أن بعض الباحثين من غير الكرد وعندما تطرقوا إلى سيرة أبن تيميه رجحوا أن يكون أصله كردياً " ينظر : محمد أبو زهرة، ابن تيميه حياته وعصره (القاهرة :١٩٥٢م)، ص١٨-١٩، مصطفى عبدالقادر عطا (محقق) مقدمة كتاب المعجزة وكرامات الأولياء لأبن تيميه (بيروت : د.ت)، ص١٥ " وكتاب الأسماء والصفات لأبن تيميه (بيروت : ١٩٨٨)، ص٣ " وقمر الدين خان، أبن تيميه وفكرة السياسي بترجمة وتعليق : احمد مبارك البغدادي (الكويت :١٩٨٥)، ص٢٤ " كما وهناك من رجح أن يكون أصله عربياً إلاّ أننا ومن خلال بحثنا الدؤوب عن سيرته وحتى في المصادر الخاصة بحياته والتي كتبت بعضها في عصر ابن تيميه ومن قبل بعض تلاميذه لم نتمكن من التأكد من أصله العرقي ونرى أن كونه حرانياً ليس كافياً لتثبيت كرديته طالما تعوزنا إشارات من حيث خصوصية اسم أسلافه وانتسابه القبلي وحتى التركيبة السكانية الواضحة لمدينة حران في العصر الإسلامي لذا يبقى هذا الموضوع مفتوحاً لدراسات أخرى. وعلى العموم أن الشيخ أبن تيميه علم من أعلام الإسلام يفتخر به الكرد كما يفتخر به الشعوب الإسلامية الأخرى وذلك لكونه مسلماً خدم الحضارة الإسلامية ونبغ فيها وهذه أسماء المصادر التي طالعناها للتعرف على سيرته التفصيلية : ابن عبدالهادي، العقود الدربة من مناقب شيخ الإسلام أبن تيميه، تحقيق محمد حامد الفقي (بيروت : د.ت) " صفي الدين الحنفي، القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمته الحنبلي (بولاق:١٨٨١)، الكرمي، الكواكب الدرّية في مناقب المجتهد أبن تيميه، تحقيق وتعليق : نجم عبدالرحمن خلف (بيروت :١٩٨٦)" وكتابه الآخر الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على أبن تيميه، تحقيق وتعليق : نجم عبدالرحمن خلف (بيروت:١٩٨٣) " عمر بن علي البزار، الأعلام العلية في مناقب أبن تيميه، حققه : إبراهيم الثلوثي (بيروت: ١٤٠٠هـ)" أبن حامد الشافعي، رسالة قصيرة في فضل شيخ الإسلام " أبن تيميه ومحبة أهل العلم له، تقديم وتحقيق : محمد بن إبراهيم الشيباني، (الكويت :١٤٠٩هـ).

واستبدل بهما وبالدواة قال فكان آمر بالمعروف قائماً بالحقوق، كثير الإيثار، عظيم التواضع رحمه الله))[1].

نخلص من هذا إلى أن الفارقي كان تقياً وقوراً وجريئاً ولولا مواقفه وصفاته الحميدة لما دافع عنه علماء عصره، ولكن عهده بالخطابة كان قصيراً، إذ توفي بعد سنة من مباشرتها في سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م[2].

ويعدّ محمد بن أحمد بن عثمان بن سياوش شمس الدين الخلاطي من مشاهير العلماء الذين أبدعوا في العلوم الدينية، تولى الخطابة في دمشق لمدة ستة اشهر ونصف [3]ويذكر المؤرخ أبن كثير أنه في شهر ربيع الأول سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م جاء البريد بتوليه الخطابة لشيخ شمس الدين فأظهر هو التكره لذلك والضعف عنه[4]. توفي سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م، وكان مليح الشكل طيب الصوت مع ديانه وعفة [5]، متواضعاً وقوراً يتبرك به الناس ويتنافسون في تقبيل يده.[6]

وأما في مصر فنبغ في الخطابة محمد بن يوسف الجزري شمس الدين الخطيب الذي يعرف بأبن الحشاش، تولى الخطابة بالجامع الصالحي بالشارع[7] وتولى خطابة جامع القلعة مدة، تعصب عليه بعض العلماء وسعوا في عزله في عهد سلطنة بيبرس وعزل عن وظائفه إلى أن عاد الملك الناصر من الكرك وتوالى السلطة فعيّن الشيخ شمس الدين في خطابه جامع طولون[8] إلى أن توفي سنة ٧١١هـ/١٣١١م[9]، وهو من الفضلاء المشهورين كريم الأخلاق له ديوان خطب يستدل مما سبق على أنه مارس الخطابة منذ بداية القرن

---

[1] الدرر الكامنة، ج٢، ص ص٤١١-٤١٢.

[2] الذهبي، ذيول العبر، ج٤، ص٨ " اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص١٧٩، السبكي، طبقات الشافعية، الكبرى، ج١٠، ص٤٤.

[3] يذكر ابن حجر أنه ولى الخطابة لمدة سنة بعد موت الشرف الغزا ثم توفي ينظر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٤٢٥.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٣٢.

[5] الذهبي، ذيول العبر، ج٤، ص١٤ " أبن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص١٤.

[6] أبن حجر، مصدر سابق، ج٣،ص٤٢٥.

[7] ابن رافع السلامي، تاريخ علماء بغداد، ص١٧٠ " أبن الملقن، العقد المذهب، ص٣٩٣.

[8] جامع طولون، بناه الأمير أبو العباس احمد بن طولون في مدينة الفسطاط بعد بناء القطائع سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٧م وهو من أشهر جوامع مصر " المقريزي، الخطط، ج٢، ص ص٢٦٥-٢٦٩.

[9] الاسنوي، طبقات الشافعية، ج١، ص ص٣٨٣-٣٨٤ " المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٧٧ " ابن حجر، مصدر سابق، ج٥، ص٦٧ " ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢٢١.

الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، وعزل في زمن تسلط بيبرس الجاشنكير الذي امتد بين سنتي ٧٠٨- ٧٠٩هـ /١٣٠٨-١٣٠٩م كما بينا في بداية الفصل الثاني[١]، وأنه أعيد إلى الخطابة هذه المرة في جامع إبن طولون وذلك فور عودة الملك الناصر من الكرك إلى القاهرة وتوليه السلطة فيها سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م لمدة سنتين إلى أن توفي.

ومن المرجح أن وظيفة الخطابة في جامع الصالح أسندت بعد عزل الخطيب شمس الدين الجزري إلى الخطيب قطب الدين بن أصيل الدين الاسعردي الذي استمر فيها إلى سنة وفاته ٧١٣هـ/١٣١٣م[٢].

وكان الشيخ تقي الدين المقصاتي الجزري، المقرئ المشهور نائباً للخطيب في الجامع الأموي بدمشق[٣]. واستمر في وظيفته هذه أكثر من عشرين سنة إلى أن توفي سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م وعرف بأنه كان زاهداً متعبداً[٤]. والذي بدا للبحث في تلك الحقبة هو أنه في غضون العشرين سنة التي تسبق سنة ٧١٣هـ /١٣١٣م توفي وعزل وعين الكثير من العلماء ممن كانوا خطباء بجامع بني أمية، ولكن حافظ الشيخ تقي الدين الجزري على منصبه هذا ما يدل من جهة على نجاحه في تلك الوظيفة، وما دام انه لم يفقد منصبه اثر عزل ووفاة خطباء جامع بني أمية خلال تلك المدة نستطيع أن نقول أنه عين من قبل السلطات العليا والمملوكية وليس من قبل أولئك الخطباء.

وكان الفقيه الخطيب بدر الدين الآمدي قد تولى خطابة حلب بجامعها الأعظم لمدة من الزمن بعد أن انتقل إلى دمشق تولى خطابه الجامع الأموي[٥]، وذلك في سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م ويذكر أبن كثير أنه استمر خطيباً فيها مدة اثنين وأربعين يوماً، وعزل ثم ولى وظائف أخرى بدمشق إلى أن توفي سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م [٦].

---

[١] ينظر : ص (٦٦) من هذه الأطروحة.

[٢] ينظر : أبن حجر : الدرر الكامنة، ج٥، ص ٢٤٣.

[٣] الذهبي، ذيول العبر، ج٤، ص ص٣٦-٣٧ " ابن رافع السلامي، تاريخ علماء بغداد، ص١٥٨ " " ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٥٣.

[٤] ابن حجر، مصدر سابق، ج١، ص٤٨٥.

[٥] م. ن، ج٤، ص١٦٤، ابن رجب " الذيل على طبقات الحنابلة (بيروت : د.ت)، ج٤، ص٣٧٦-٣٧٧، ويذكر الصفدي انه لما تولى دمشق ولى ابنه خطابه دمشق وانتزعها من الخطيب جلال الدين القزويني " ينظر : أعيان العصر، ج٤، ص١٧٣١، ولكن هذا تصحيف والأصح أن الخطيب بدر الدين الآمدي تولى بنفسه خطابة دمشق وانتزعها من القزويني.

[٦] البداية والنهاية، ج١٤، ص ص ٤٤، ٨٥.

ومن علماء أربل الذين استوطنوا في مصر ورد ذكر موسى بن علي بن موسى بن يوسف بن الأمير ممد شرف الدين الزرزاري الذي كان يلقب أيضاً بضياء الدين، أن والده وجده كانوا قضاة بأربل، ويعدّ هو من القراء المشهورين، وكان يخطب بجامع الأمير كراي[1]، وهو من العلماء الصلحاء توفي سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م ساجداً في الصلاة[2].

ومن الخطباء أوردت المصادر ذكر الخطيب شهاب الدين السنجاري الذي كان خطيباً في أحد مناطق الشام وأدرك منزلة عالية من علوم الحديث وتوفي سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م[3]، كما واشتهر محمد بن عبدالأحد بن يوسف الآمدي المعروف بأبن الرزيز شمس الدين الذي كان فاضلاً عابداً، وهو خطيب الجامع الكريمي[4]، وكان حسن الخطابة والقراءة، توفي سنة سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م[5].

وكان علي بن محمد بن يوسف الجزري من علماء جزيرة ابن عمر، نبغ في مصر واشتهر خطيباً، تولى الخطابة بجامع ابن طولون وتوفي سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م[6]. ولا يستبعد كونه أبناً لمحمد بن يوسف الجزري، أبن حشاش الذي كان خطيباً بجامع ابن طولون أيضاً.

وفي ضاحية من ضواحي دمشق وبالتحديد في خوبرقة تولى رمضان بن عبدالله بن عبدالرحمن الكردي الذي يكنى أبا العبد الخطابة، وكان أيضاً محدثاً صالحاً، توفي سنة ٧٤٩هـ /١٣٤٨م[7].

---

(١) جامع الأمير كراي، يقع بالريدانية خارج القاهرة عمرّه الأمير سيف الدين كراي المنصوري سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م " المقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٢٥.

(٢) الصفدي، أعيان العصر. ج٤، ص٢١٠٤ " ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص١٤٩.

(٣) م.ن، ج١، ص٩٤.

(٤) الجامع الكريمي : يقع بالقبيبات في دمشق عمره القاضي كريم الدين عبدالكريم بن هبة الله وكيل الخاص السلطاني في سنة ٧١٨ " ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٦٥ " النعيمي، الدارس، ج٢، ص٣٢١-٣٢٣.

(٥) ابن حجر. الدرر الكامنة، ج٤، ص١٠٩.

(٦) م. ن، ج٣، ص ١٩٧.

(٧) م. ن، ج٢، ص٢٠٣.

سابعاً. التدريس والإعادة

تعد وظيفة التدريس من الوظائف الدينية الحساسة وتتضمن تدريس العلوم الشرعية وما يتعلق بالدين الإسلامي في المدارس، وتشتمل حسب ما ذكره القلشقندي على الفقه والحديث والتفسير والنمو واللغة وغير ذلك، يولى فيها السلطان من اشتهر بعلمه ودينه وذلك يتضمن المدارس التي ليس لها ناظر خاص في نحو المدرسة الصلاحية، فضلاً عن مدارس وجوامع أخرى[١].

أما الإعادة فهي في أيسر تعريفاتها إعادة محاضرة المدرس التي يتولاها المعيد الذي هو أقل مرتبة من المدرس، وأعظم درجة من عامة الطلبة، ويقوم بإعادة الدرس بعد إلقاء المدرس له على الطلبة[٢]. ويمكن القول أنه معين الشيخ أو المدرس على الطلبة[٣].

شهدت بلاد الشام والديار المصرية نشاطاً ملحوظاً في إنشاء المدارس منذ العصر الأيوبي. واستمرت أغلب مدارس العصر الأيوبي وما قبله على عطائها العلمي إبان العصر المملوكي، فضلاً عن ذلك ظهرت العديد من المدارس الجديدة التي تنوعت فيها مواد التدريس منها مخصصة لتدريس الحديث، ومنها لتدريس الفقه وعلى العموم ليس ذلك بمانع من ان تدرس فيها مواد أخرى إلى جانب مادة الاختصاص[٤]، تدور مناهج التعليم حول القراءة والكتابة وتعليم القرآن والحديث وآداب الدين فضلاً عن مبادئ الحساب وقواعد اللغة والشعر[٥].

وكانت تلك المدارس من أهم الوسائل لنشر الثقافة وإنمائها في تلك الحقبة، إذ أمدت المجتمع بالفئة المتعلمة المثقفة التي كانت لها اكبر الأثر في النهوض بالفكر الإسلامي وتقويته وتنقيته من الشوائب، كما ودرس وتخرج من تلك المدارس ودور العلم علماء أفذاذ اثروا المكتبة الإسلامية بنتاجاتهم في مختلف الحقول العلمية. تزخر المصادر

---

[١] صبح الاعشى، ج٤، ص٤٠، ابن الازرق الاندلسي،بدائع السلك،تحقيق:محمد بن عبدالكريم (تونس:د،ت)ج١،ص٢٤٩.

[٢] السيد الباز العريني،مصر في عصر الأيوبيين، ص٢٢٥.

[٣] أبن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق : احمد محمد شاكر (بيروت : د.ت)، ص١٥٠.

[٤] مناهل فخر الدين فليح، التعليم في ظل دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ) بحث منشور في مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد الثامن، آب، ١٩٧٧، ص٣٩١.

[٥] سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية (القاهرة : د.ت)، ص١٩١.